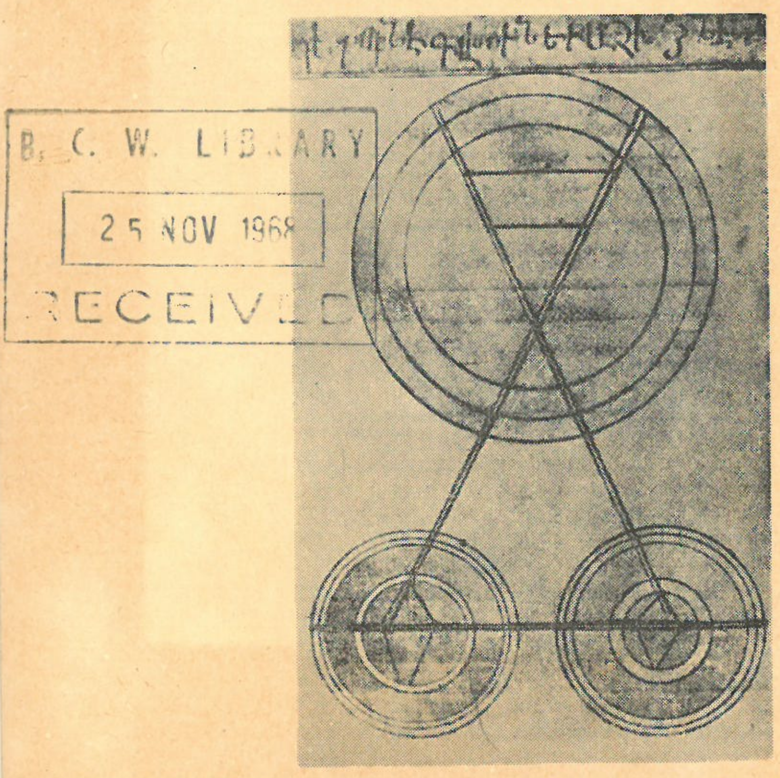
تاريخ الطب الارمني

منذ العصور القديمة حتى القرن التاسع عشر
و
الروابط بين مدرستي الطب العربية والارمنية



منشورات الجمعية الخيرية العمومية الارمنية

١٩٦٨

تاريخ الطب الارمني

منذ العصور القديمة حتى القرن التاسع عشر
و
الروابط بين مدرستي الطب العربية والارمنية



للبروفسور ل. آ. هوانيسيان

عضو آكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي

وفي آكاديمية العلوم في ارمينيا

وعضو شرف هيئة رئاسة

جمعية تاريخ الطب العالمي

اقتُطِف موضوع هذه المحاضرة من الكتيب المنشور باللغة الفرنسية الذي اصدرته وزارة الصحة في يريفان ارمينيا السوفياتية

تحضير الدكتور : **روبير جبه جيان**
ترجمها عن الارمنية الأستاذ : **نزار خليلي**

العصور القديمة

مهما كان في تاريخ ازدهار الطب في ارمينيا من نواح لم يكشف النقاب عنها بعد ، فالموضوع مع ذلك لم يخل من دراسات تعرض لها اكثر مما تعرض له الادب في الفترة ذاتها . فعدا عن الدراسات الارمنية توجد دراسات روسية وانكليزية والمانية وفرنسية واسبانية وكرجية وغيرها . والى جانب هذا توجد الف مخطوطة قديمة طبية بحتة يجب اتمام دراستها ، وهي تشكل مع احدى عشر الف مخطوطة اخرى الكنز الثمين الذي تضمه دار الكتب الوطنية المسماة باسم ماشدوتس في جمهورية ارمينيا السوفياتية .

هذه الدراسة المقترحة تفسح المجال لظهور سلسلة من النفائس . فاللورد بايرون الذي اطلع في دير سان لازار في البندقية على المكتبة الارمنية أوضح أهمية ترجمة هذه الدراسات في الثقافة العالمية .

كثير من الوثائق التاريخية تثبت ازدهار الطب الارمني منذ أقدم العصور وحتى اوائل القرون الوسطى ، جاء فيها ان الجراحين الأرمن ، كانوا يستعملون للتخدير العام : اللاكدوكاريوم Lactucarium او (الخس السام) ، والمانتراكوران Mandracoran ، والديبساكوس Dipsacus

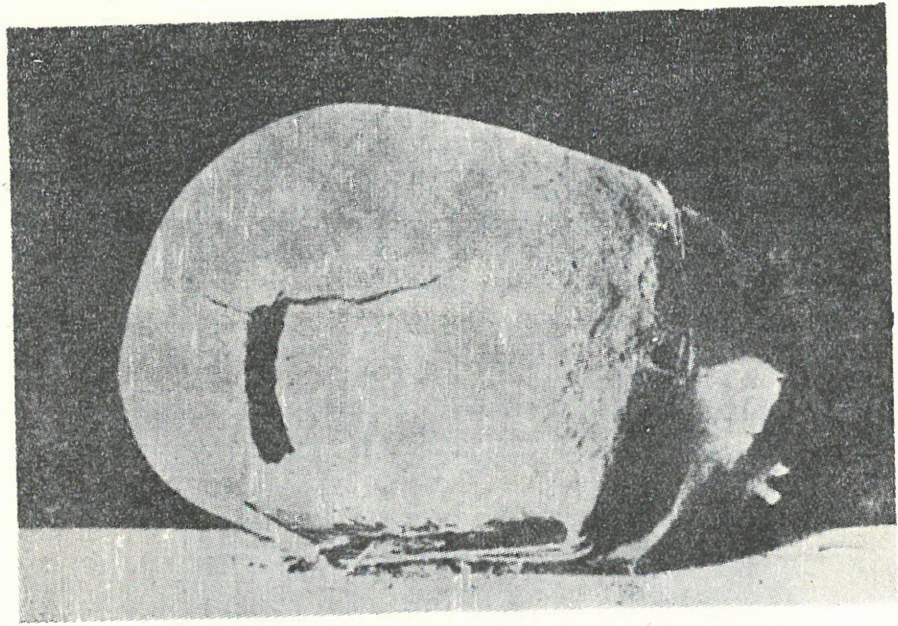
ولقد كانت اهمية هذا الأخير منسية ، الى ان بديء اليوم في يريفان باستعماله من جديد بعد تجارب ودراسات اجريت على نباته .

إن العديد من الشروح الأدبية تطلعنا على الأساليب المتبقية من الطب الأرمني القديم والتي استمرت حتى القرن الماضي يزاولها ممثلو الطب القديم ، « الحكماء » .

لنذكر واحداً منهم :

يقول توركوميان : انه كان في يريفان في مطلع القرن التاسع عشر حكيم شعبي اسمه كيورك كرابيديان يتمتع بشهرة عظيمة . ويورد الكاتب تاكياديان عن هذا الحكيم الشهير القصة التالية : دُعي الحكيم في احد الأيام لاسعاف طفلة وقعت من الشجرة وكسر عظم الحوض فيها . فما كان من الحكيم الا ان عمد في الحال الى كلبه فذبحه ونقل عظمه الى جسم الفتاة . ومرت الاعوام والتقى الحكيم يوماً بمريضته ليراها وقد خلفت ثلاثة اطفال كانت تمشي معهم . علماً بأن اول عملية نقل عظام الحيوان الى الانسان تمت في اوروبا على يد اكشايسن عام ١٨٨٠ بعد ستين عاماً فقط من عملية كرابيديان . ولا شك ان مثل هذه العمليات المعقدة كان يعرفها الأقدمون .

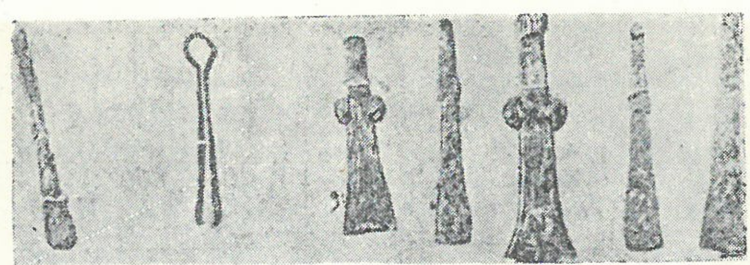
يقول هاروتيونيان : ان الولادة بواسطة العملية القيصرية كانت من بين مناهج الطب الأرمني في القرون



١ - جمجمة وجدت بالقرب من قرية آفان في ضواحي يريفان وفيها في الصدغ الايسر ثقب بطول ٤ سم وعرض ١ سم ، فتح بعملية جراحية . وجدت الجمجمة محفوظة داخل جرة فخارية .

الوسطى وقبل ان يعرفها الطب الحديث بقرون عدة .

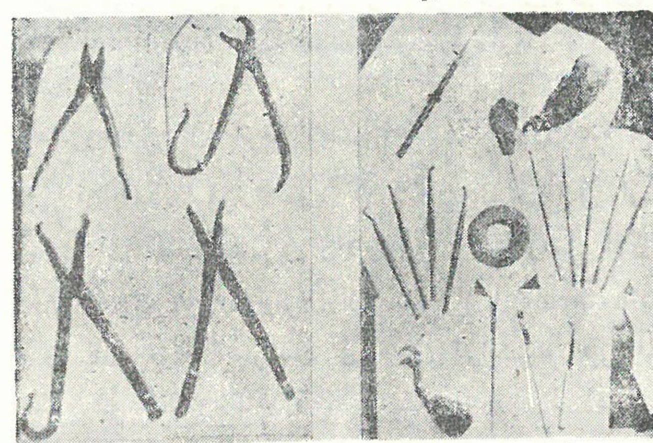
ان العديد من الأدوية التي كانت تستعمل في ارمينيا انتقلت الى الطب العربي والاوروبي ، كالارجيل الارميني (argyl d'Arménie) بولوس ارمينا (bolus armena) الذي كان يعرفه تيوبراست في القرن الرابع قبل الميلاد وغالين في القرن الثاني قبل الميلاد . ويعود الفضل الى الطب الارمني في استعمال الامونياك كدواء للدود . وكلمة



٢ - ملاقط من البرونز المنقوش ، لاقتلاع الشّعر

« امونياك » في رأي مينيفيشيان والانكليزي شيلينغن ، تحريف لكلمة (ارمينيوم Arminium) واخذ اليونان والعرب عن الارمن كلمة (بوراكس Borax) (بالارمني بوراك) ، « آموم » (بالارمني حميم) وغيرهما .

مما تقدم نستبين مدى ازدهار الطب في ارمينيا والشرق الاوسط ومسايرته للعلوم المصرية ، والبابلية ، والاشورية ، والسومرية .



٣ - أوائل قديمة للعمليات الجراحية كانت تستعمل في ارمينيا

كانت مهنة الطب الارمني منذ القرن الثامن قبل الميلاد حتى القرن الخامس للميلاد مرتبطة بالدين . وكانت آسدغيك إلهة الارمن ، واحب الآلهة الى شعبها راعية للطب وللامومة .

واعترافاً بفضلها أنشأ (ارداشيس الثاني) ملك ارمينيا



٤ - وجد تمثال الرأس البرونزي للربة آناهيد في مدينة ارزنجان غرب ارمينيا في القرن التاسع عشر . وهو محفوظ الآن في المتحف البريطاني .

في القـــرن الاول الميلادي مزرعة نباتية يؤمها الناس لا للنزهة فحسب وانما للاستفادة من الأعشاب الطبية المزروعة فيها ايضاً لتحضير الأدوية الـــتي كانت تستعمل يومئذ . ولقد اقيم للربة آسدغيك تمثال بالقرب من المزرعة الجديدة لتكون راعية وحامية لها .

وربة أخرى للارمن آناهيد ، كانت راعية للمرضـــى وللنفاسى على الاخص . ولا شـــك في ان رعاية آسدغيك وآناهيد ما هي الا تعبير عن الاهتمام بصحة الانسان وحسن معيشته في ارمينيا في ذلك العصر .

غير ان العصر الجاهلي يتميز عندنا بأعمال اكثر اهمية . ففي القرن الثاني قبل الميلاد امـــر ملك الارمن فاغارشاك بتجفيف مستنقعات بعض الاجزاء الجنوبية الموبوءة في البلاد ، وتبنى هـــذا العمل الجبار ، حتى أصبحت هذه الاجزاء في عهده حدائق للزهور ، وهو العمل الذي نراه اليوم يتم امام أعيننا بتجنيد كافـــة القوى في مكافحة الملاريا الـــتي تلوث البـــلاد .

بعـد اختراع الحروف الارمنية الابجدية من قبل مسروب ماشدوتس ، ازدهر في القرون من ٤٠٤ – ٤٠٦ ميلادية ادب ارمني بحت ، وتقدم معـه الطب في ارمينيا بادئـــاً بالطريق الدجلي ثم متطوراً مسترشداً بالعلم الذي كان يلتزمه الأطباء المهنيون . ولم تصلنا اسماء الاخيرين مع الاسف الا



٥ – صور طبية مختلفة اخذت من مخطوطات يعود تاريخها الى القرنين الرابع عشر والسابع عشر . يظهر فيها : بُرُص ، عرجان ومشلولون .

ان التاريخ نقل الينا تفاصيل اعمالهم العظيمة .

يؤكـد فيكتور لانغلوا وكاريير دومورغان وآليشان وأمين وغيرهم ان آثار الجاهلية في ارمينيا كانت تضـم (مشافي للبرص) و (ملاجىء للفقراء) ، ويستطيع أحـد مشافي البرص هـــذه ، الذي أمرت ببنائه الاميرة أكيتا زوجة صلاحوني بين عامي ٢٦٠ – ٢٧٠ للميلاد – ان يضم ٣٥ مريضاً . وتجدر الاشارة هنا الى ان اول مشفى للبرص في اوروبا بني عام ٥٧٠ ميلادية من قبل سان كاود بعد ثلاثمائة عام من تاريخ بنائه في ارمينيا اذ كانت في القرنين الرابع والخامس حافلة بأمثال هذه المشافي بعدد واسع .

في عـــام ٣٦٥ دعا حبر كل الارمن الـكاثوغيكوس



٦ - ثلاثـة عرجان

نرسيس الكبير الى اول اجتماع كنسي ، حضره النبلاء والامراء واصدر فيه القرار التالي :

« بعد الاطلاع على انتشار الامراض السارية ، تبنى مشافٍ للبرص ومصحات للمرضى ، وملاجىء للمقعدين والعميان وللمحافظة على هذه المؤسسات يتحتم على سكان المدن والقرى

تعيين مناظرين لهـا ، وعلى مطران المنطقة ان يضطلع بمسؤولية الاشراف عليها » .

تدل المخطوطات التي وصلت الينا من القرنين السابع والثامن وما بعدهما ، على ان المؤسسات التي أنشأها نرسيس الكبير قد بقيت تعمل زمناً طويلاً . من كتابات الكتّاب أنفسهم نستخلص معلومات عن وسائل الوقاية الصحية التي كانت معروفة آنئذ وتطبقها الحكومة . فالزواج بين الاقارب مثلاً كان ممنوعاً . حتى البطن الرابع في اول



٧ - صورة لاثنين من العميان توجد في هامش مخطوطة

الامر ، ثم امتد فيما بعد حتى البطن السابع . وكان الزنا والعلاقات غير الشرعية ، والاجهاض ، وبعض الزيجات التي تتم في حالات مرضية معينة تعرض مرتكبيها لأشد انواع العقاب . ولقد ظل حكم القانون الذي يمنع الزواج في حالات المرض نافذاً حتى القرن التاسع عشر ، حيث استعيض عنه بقانون اكثر شرعية . فلا شك اذن في اننا مدينون للارمن بالقانون الذي يوجب الفحص الطبي قبل الزواج .

لنذكر واحداً من المراكز الصحية التي أنشئت في القرنين الخامس والسادس : انه مستشفى البرص المبني في اقليم سونيك على ضفة نهر آراكس ، فنواه يستوعب خمسمائة شخص ويملك الفي رأس من الماشية .

من بين العقوبات التي نص عليها القانون الارمني عقوبة العمل الالزامي في مشفى البرص ، فاذا كان المحكوم عليه نبيلاً او وجيهاً يفتدى بغرامة نقدية لمصلحة مستشفى البرص دوماً .

فيما بعد وابتداء من القرن الخامس وحتى القرن السابع بدأت ميادين الأدب ، والفلسفة ، والدين والطب في ارمينيا تحمل طابع الثقافة اليونانية ، وظهر نتيجة لذلك في هذه الفترة ترجمات : اوريباز ، نيميس ، اسكليباد بوتانياوي ، غاليين ، ومؤلفين يونان من اصل ارمني منهم : كريكوار النيسي (Gregoire de Nysse) ، باسيل القيصاري

(Basile de Caesaria) . ولما كانت اصول هذه الترجمات قد ضاعت ، لذا اصبحت الترجمات الارمنية ذات اهمية تاريخية ثمينة اليوم .

عند بدء المد العربي في القرنين الثامن والتاسع ، لم يكن العلماء العرب يخفون دهشتهم لما رأوه عند الاطباء الارمن ، الذين لم يصل الا القليل من اخبارهم مع الأسف ، ولا يسعنا الا ان نذكر اسماء بعضهم فقط : كابرئيل شيكاري ، وخسرف . ولقد سجل الشيكاري شهرة عظيمة في البلاط الفارسي حين شفى زوجة الشاه من العقم .

في القرن الثامن كانت الموسيقية الشهيرة سهاكتوخد تعمل على شفاء المرضى بواسطة الموسيقى ، الاسلوب الذي دخل الى ارمينيا مع الفريجيين وبقي متبعاً في ارمينيا كاسلوب للطب الشعبي حتى القرن التاسع عشر .

يزنيك
(القرن الخامس)

كثير من الفلاسفة والعلماء الارمن كانوا يعملون في الطب احياناً الامر الذي يعني ان الطب كان يحتل مكانة سامية في ميدان العلم عندنا . وهذا الميل هو نتيجة لتأثير اليونان .

كان الوراق يزنيك في كتابه (رد الالحـــاد) يفسح مكاناً واسعاً للمسائل الطبية المعروفة في زمنه . كان يعرف « عناصر العلم الاربعة » : ـ التراب ، الهواء ، الماء والنار ـ التي كان يعتبرها الاقدمون المـــادة الاساسية في بناء الجسم والطبيعة . ومع هذه العناصر صنف الاقدمون (الصفات الاوليـــة) (Qualités Primitives) : الرطوبة ، الجفاف البرودة والحرارة . وبائتلاف العناصر مع هذه الصفات يتولد البناء الاساسي للطبيعة .

يقول يزنيك : من انسجام التفاعل بين الصفات الاولية والرطوبة يتعين وضع العضوية الصحي ، فاذا ما اختلت هذه التفاعلات سببت وجود الامراض .

كان يزنيك يؤيد وجهة نظر الاقدمين في سبل المعالجة الميتافيزيكية (فوق الطبيعية) . فمهـما تكن الوجهـــة الميتافيزيكية غـــير ذات وزن تبق خطوة تقدمية بالنسبة للتدجيل الذي شاع في العهد الجاهلي .

كان يزنيك بقوله : « خطأ وكلام لا أســـاس له ، وثرثرة » يرفض وينتقد كل تعليل لولادة الامراض باساليب التدجيل والشعوذة . واذ قبل بالتعطل غـير الطبيعي للسائل البدني (Pathologie Humorale) كأساس لجميع التطورات الفيزيولوجية والمرضية ، فانه راح ينتقد تلك الآراء الـــتي تعزو سبب الامراض العصبية والفكرية الى قوى من عـالم غامض آخر ، وعليه ، كان يؤمن بالمعالجة الكلاسيكية لهذه

المعكرات . تجدر الاشارة هنـا الى ان عصر يزنيك ، كان يشكل ردة حقيقية بالتفسيرات الدجلية الـــتي تفشت عـن المعكرات الفكرية ، اذا قورنت ، بالاراء التي كانت سائدة قبـــل ذلك بكثير في اليونان وروما الـــتي كانت تصنف الامراض العصبية ببساطة مع اصناف الامراض الاخرى .

القرون الوسطى

ان التساهل مع ادمان الخمر والجنون في ارمينيا في القرون الوسطى يدين للاساليب المعقولة المتبقية من العصور القديمة . في الوقت الذي كانت فيه هذه الامراض في اوروبا تعتبر تحالفاً مع الجن والشياطين ، ويتعرض المصابون بها الى اقسى انواع العذاب . ولم يقضَ على هذه الظاهرة اللاانسانية في اوروبا الا في القرن الثامن عشر حيث وضع نهاية لها الطبيب الفرنسي فيليب بينيل (Philippe Pinel) بجرأته وعمله المستمر .

ومن ناحية اخرى نرى ان فكرة عزل المجانين قد دخلت الى ارمينيا منذ عصر بعيد ، فدير سيفان مثلا قـد خصص لوقت ما لذلك .

في ابتداء الفتح العـــربي كان العرب يبذلون جهدهم للحفاظ على ثقافات الشعوب التي تخضع لهم . وبذلك توصلوا

الى ينبوع الفلسفة اليونانية . ولم يكتف العرب بالمحافظة على ما وصلت اليه ايديهم من العلوم ، بل نجحوا في تهذيبها وتطويرها ، فاتحين بذلك امام العلوم آفاقاً جديدة . وبذلك يقول همبولد :

ان للطب العربي علاقات وثيقة جداً بالطب الارمني . فلما لاقت العلوم العربية نفوذاً وقبولاً حسناً في اوروبا تضاءل التأثير اليوناني في الطب في ارمينيا ، تاركاً المجال للاطباء العرب ليحضروا الى ارمينيا ويعملوا في اماراتها المختلفة . وكثير منهم من اختص بدراسة الاعشاب الطبية في ارمينيا واستعمل بعضهم صمغ ارمينيا Poix ، والشند (Centaurea Cyanus) وهيزوبوس (Hysopus) (وهو نبات صغير ذو رائحة عطرية) ، وغيرها . لقد اهتم الطب العربي خصوصاً بعلم الادوية . واليهم تدين اولى الصيدليات الرسمية التي اسست في اوروبا .

كان الاطباء الاجانب كالعرب واليونان والسوريين يتمتعون بشهرة عظيمة ، حتى ان بعضاً منهم خلفوا لنا كتباً طبية باللغة الارمنية ، كالطبيب السوري فرج .

عهد البكرادونيين

ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع بدأ الظل العربي ينحسر عن ارمينيا فحصلت كثير من المقاطعات على استقلالها. ومن اقوى حكام هذه المقاطعات كانت اسرة باكرادوني ، الذين عرف عهدهم بازدهار الثقافة ، التي تعدت حدود ارمينيا ونفذت الى البلدان المجاورة ، وتميز بنهضة علمية جديدة .

وساعد على قيام هذه النهضة الثقافية على الاخص ، هدوء الاحوال الداخلية ، واستقرار الامور السياسية النسبي . فلقد مرت الفترة ما بين القرنين التاسع والعاشر كانت فيها ارمينيا كجسر يقوم بين الغرب (الامبراطورية البيزنطية) والشرق . وكان هذا الوضع سبباً في تدفق الثروات وفي ظهور طبقة بورجوازية تجمعت في المدن النشيطة بالتجارة المربحة ، كـ « آني » و « تفين » و « قارس » .

يكتب الجغرافي العربي ياقوت (القرنين ١٢ – ١٣) أنه كان في ارمينيا ايام اسرة باكرادوني ١٨٠٠٠ مدينة بين كبيرة وصغيرة ، ولقد ازدانت المدن في هذا العهد في ارمينيا بالنصب التذكارية ، والمنشآت الهندسية ، والاقنية المائية ، والحمامات العامة ، والمستشفيات التي ما زال ما



٨ - المسيح يداوي رجلًا تلبس به الشيطان (مجنوناً)

تبقى منها يذهل السائحين حتى اليوم .

في الوقت الذي كانت فيه اوروبا تعيش في عهد ظلمات حرمانها من العلم ، كانت البورجوازية الحديثة في ارمينيا ، قد خطت نحو نهضة ادب شعبي متحرر من قيود الدين ، وبالرغم من ان العقيدة الدينية قد حافظت على نفوذ

معين ، الا ان الحياة كانت تتطلب حلولاً تحررية تقدمية .

وكان لبعض الاتجاهات الفكرية في ارمينيا ايضاً تأثير فعال في تحرير العلم والفن من قيود الدين . فثار المانيشاكيون وتلاهم البافغيكيانيون على سيطرة الكنيسة .

كان الكهنة الابداعيون وحذا حذوهم الدونتراكتيون ينتقدون خرافات الكنيسة ومعجزات الميتافيزيك . الامر الذي وقف حائلًا دون انتشار العقائد الخرافية وخنق الافكار التحررية . وبزوال التدجيل البغيض قامت نهضة ثقافية جديدة في ايام ملك الباكرادونيين . كذلك تقدم الطب بدوره وبدأ الأطباء الارمن في هذا العهد يستغلون كافة مواهبهم من اجل هذه النهضة .

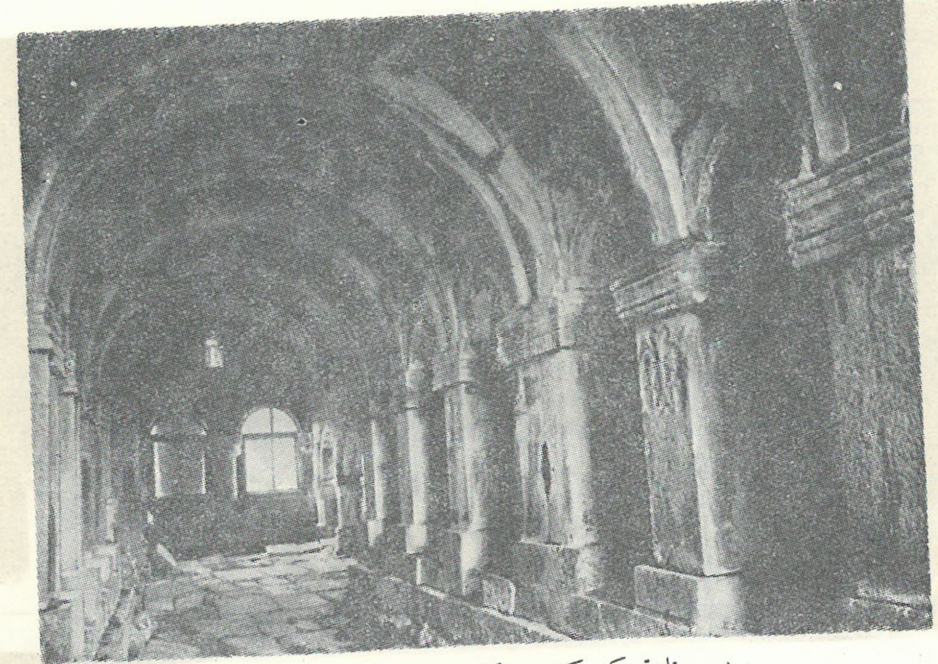
ان آبي ويلفري ذا الاطلاع الواسع على المخطوطات الارمنية الموجودة في دار الكتب الوطنية في باريس يؤكد انه كانت للارمن في آسيا آكاديمية مدهشة . وكانت لهذه المؤسسة علاقة وثيقة بالطب الارمنى ايضاً .

كريكور ماكيسدروس

لقد لعب كريكور ماكيسدروس الذي كان يعتبر من ألمع كتاب القرن الحادي عشر بأبحاثه العلمية العميقة دوراً هاماً في المكتبة الارمنية . ولما كان من اسرة بهلووني النبيلة فلقد تلقى ثقافة عالية ، بيزنطية على الأغلب ، لانه كان على علم واسع بالثقافة الهيلينية الكلاسيكية . لقد أنشأ في فترة حكم هوانيس سمباد بين عامي ١٠٢٠ ـ ١٠٤٠ اكاديميات



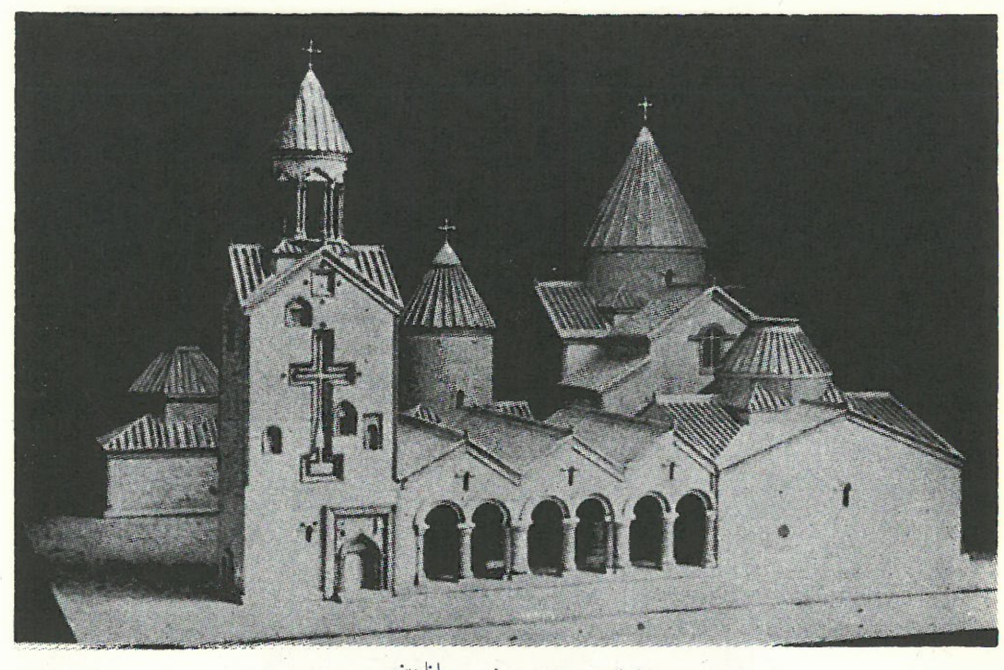
٩ ـ من النقوش التي تزين جدران مدرج بناء اكاديمية العلوم في يريفان ، صورة كريكور ماكيسدروس ، عمل ، آرا سركيسيان. يبدو فيها ماكيسدروس في القرن الحادي عشر يدّرس مختلف العلوم والطب في ساناهين وداروں



١٠ ـ قاعة كريكور ماكيسدروس في دير ساناهين في القرن الحادي عشر

كانت تدرس فيها العلوم . ومـا زالت قاعة من قاعات احدى هذه الاكاديميات قائمة في مقاطعة ساناهين .

ترجم كريكور ماكيسدروس عدداً من الآثار ، منها : « احاديث افلاطون » ، « ديمه » « وفيدون » . وله رسائل تبادلها مع عظماء رجال عصره نشرت تحت عنوان « رسائل » تتألف من ٨٧ ورقة زاخرة بالآراء الاصلية عن الطب .



١١ ـ مصور دير ساناهين .

ففي الورقة ٤٨ دراسة وبحث عن الهضم ينتقد فيها ماكيسدروس اتجاهات كيرياكوس اليوناني الفيزيولوجية ، التي انتشرت في آني عن طريق محاضرة فيزيولوجية القيت فيها . ويرفض ماكيسدروس الفكرة التي اقترحها العالم اليوناني عن الهضم التي تعزله عموماً عن الفيزيولوجيا وعن دنيا العلوم . ويقول عضو المجمع العلمي هوانيسيان في ذلك : برأينا ان هذه الرسالة انما وجهها ماكيسدروس الى الفئة المتعمقة في الطب . وان ماكيسدروس اذ يخلق ضجة هنا ،

انما يثبت في ذات الوقت انه نهَجَ تماماً نهْج اساتذة الطب الاقدمين من امثال غالين ، ابقراط ، نيميسا ، افلاطون وروف وغيرهم . لقد وصف في رسالاته العديد من الادوية والاطعمة والعلاجات منها مثلا : (لاكديكاريوم) (نوع من الخس) ، والسلطات ، ونقل الدم ، والخمر والتفاح . وبين الصورة التشخيصية لامراض معينة . ووصف فوق ذلك ، ذلك المرض الذي كان يعاني منه الملك (كاكيك) ، والذي انتشرت جراثيمه في جسمه واستقرت في جهازه التناسلي ، حتى بات في حاجة الى عملية جراحية . كذلك وصف مرض ابنه ، والمرض الزهري وغيرها . في هذا الوصف لم يتراجع ماكيسدروس عن بيان رأيه الاصلي . فكثيراً ما نصادف في كتاباته من مثل هذه التعابير : « نحن نرى ان ... » ، « أنا افكر ان ... » ، وهو مع ما له من باع طويل في هذا المجال ، الا ان بيئته الارستقراطية وعلمه الزائد كانا يمنعانه من التفرغ تماماً للطب .

كان في ارمينيا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر كثير من الشخصيات الطبية ، وردت اسماؤهم في المخطوطات التاريخية ، من بينهم اطباء عرب وسوريون كتبوا باللغة الارمنية ـ امثال : ابو سعيد وعيسى بن ابي سعيد ـ . وأرمن امثال : سركيس ، سيمون ، ميكائيل ، استبانوس وغيرهم . وهناك غيرهم ذاع صيتهم في خارج حدود البلاد ، كما يذكر باتريك بيجيرسكي في كتابه « حياة القديسين في

مخيتار هيراتسي

كييف » الذي يبين فيه العلماء الذين عاشوا في كييف في القرن الثاني عشر ، فيقول : « كان في كييف عالم طبيب لا مثيل له ، وهو ارمني المولد والدين » .



١٢ ـ مخيتار هيراتسي في القرن الثاني عشر .
هيراتسي مؤلف لعدد من الكتب الطبية .

وصلت العلوم الطبية في القرون الوسطى الى ذروتها بـ (مخيتار هيراتسي في القرن الثاني عشر) . لقد عاش هيراتسي في القرون الوسطى كطبيب المعي ، الا ان حياته الشخصية قد بقيت سراً مع الأسف اذ لم يصلنا عنها الا

١٣ ـ غلاف كتاب « تفريج الحمى » لهيراتسي .

القليل . فمسقط رأسه هو هيره ، ايجموخوي في بلاد فارس ولا شيء غير ذلك . كذلك لم نعلم اين تلقى علومه في الطب على ان نظرياته تجعلنا نعتقد بدون شك انه ينتمي الى المدرسه العربية . لقد ذكر مخيتار في بحثه الرئيسي عن

« تفريج الحمى » لمحة عن حياته . نستخلص منها انه احب الطب منذ طفولته وانه يجيد اليونانية والعربية والفارسية . وكان على معرفة بعلم الفلك والفلسفة . وكان الاطباء الارمن يحترمونه ولا يشيرون اليه حين يتحدثون عنه إلا بـ « مخيتار الحكيم » و « الطبيب الكبير » .

عاش مخيتار في كيليكيا ، وعلى الارجح في سيس حيث كان يوجد المستشفى الذي بناه نرسيس لامبروني . وصلنا من مؤلفاته شيء كثير أهمها كما ذكرنا من قبل « تفريج الحمى » وقد كتبت عام ١١٨٤ . وترجمت الى الروسية والالمانية وبعض اجزائها الى الفرنسية .

و « تفريج الحمى » عبارة عن بحث حول علم الامراض الحرارية ، يشرح فيه المؤلف تجاربه الشخصية . ومن فصوله « علم مرض السوائل » الذي تبناه اطباء العصور القديمة والوسطى . ذلك الفصل الذي دام حتى روكيدانسكي ، ثم استعيض عنه في القرن التاسع عشر بـ « علم مرض الخلايا » لفيرخاف (١٨٢١ - ١٩٠٢) .

لقد كتب مخيتار بحثه معتمداً على مصادر مختلفة لمؤلفين شهيرين . انه لا يفتأ يذكر : ابقراط ، غالين ، افلاطون ، ارخيكين ، ومن العرب : الرازي ، مسارجويه ابن موسويه ، ثابت ، قرة وغيرهم .

ومنه يتضح ان المؤلف الارمني كان قد استحوذ على

اهم ما وصلت اليه كنوز العلم العالمي في زمنه . ولكن ما كان هذا ليمنعه من ان يرد كل ما لم يكن يتفق مع نظرياته التي يراها بمنظاره الشخصي دوماً .

كان مخيتار ينتقد حتى ملك الطب غالين . لئن كان ذكره لمختلف المؤلفين يبرز مدى تضلع هيراتسي في العلم ، فانتقاداته وتجاربه تبرز قوة افكاره الاصليه . ويظهر هذا التأصل حين يتحدث عن علاج الامراض . وطريقته في الحديث الى قرائه تبين ما له من نفوذ لا على الاطباء الشبان بل على رواد المهنة من زملائه المسنين ، كما ان كتاباته تفترض ان القراء يعلمون ادق تفاصيل الموضوع .

كتاب هيراتسي يفيد الاطباء بالطبع في مكان مثل كيليكيا حيث تنتشر الحميات بشكل واسع . واليكم الآن احدى نظرياته الاصلية : يعرف مخيتار رنين البطن الطبلي الذي يصدر عن ضرب البطن بالاصبع عند تراكم الغازات فيه . هذا الاسلوب الذي طواه النسيان بعد ابقراط ولم يتحدث عنه احد الا في عصر آفينبريك في القرن الثامن عشر .

يربط مخيتار ولادة الامراض بمهن المرضى ، كالحداد وصانع الزجاج وغيرهم . وهذا الاتجاه يسمح لنا بأن نعرف في المؤلف الكبير طبيباً ومفكراً عظيماً سبق عصره بمراحل طويلة . لقد اطلق على الحميات الوافدة بسبب الالتهاب اسم

« عفونة وفناء » وكان ذا انتباه حـذر في اسباب الحمى الخارجية ، ولو بقيت هـذه الاسباب بعيدة المنال عليه . بالرغم من ان مترجم مختيار الالمـاني لم يكن يفكر في اطلاق لقب (ابو علم الجراثيم) عليه ، الا انه كان يرى اننا اذا قارناه مع العالم الطبيعي الالماني (هيل تيغارت) في القرن الماضي ، لوقع الاختيار بين الاثنين على مؤلفنا الارمني ليحمل تاج العـلم لنظرياته وانطباعاته العميقة في الطبيعة ، ولبحوثه الاصلية المنطقية التي لا تخضع للكلاسيكية .

يقول مختيار ان الحميـات تصنف على النحو التالي : « قصيرة الاجل » (تدوم يومـاً واحداً) ، « منهكة » « قاتلة » . والحمى هي نتيجة سـوء عمل القلب ، علاماتها حرارة غير طبيعية تنتشر في الجسم وتستولي عليه بـكامله . فالحمى قصيرة الاجل تـأتي بتأثير اسباب سيئة تدوم اربعاً وعشرين ساعـة . فاذا انتقلنا الى الحميات القاتلة يراهـا ناتجة عن تعفن مختلف في سوائل الجسم . وهـذه السوائل هي : الدم ، اللعاب ، المـرارة الصفراء والسوداء ، وتسبب حميات تدوم من ٣ الى ٤ ايام . ومن انواع هذه الحميات : الدمل والجدري وغيرهما من الحميات الـتي اصبح تشخيصها اليوم يسيراً كالملاريا . ووصف مختيار الحميات الـتي تدوم بـين ٥ و ٦ و ١١ يوماً .

اما في حقل المعالجة ، فيحترم مختيار مبدأ ابقراط في « تضاد الاضداد » « Contraria Contraris » او « بايجاد



١: - صورة من مخطوطة من القرون الوسطى ، يبدو فيها طبيب يعالج مريضه بيده .

الاضداد للقضاء على تأثير اسباب كل الامراض » كما يفسرها هيراتسي . ونظام التغذية ايضـاً فمدروس ومفصل ويحتل مكاناً هاماً في دراسة مختيار .

كان يصف المعالجات المائية ، ان كان ذلك في الدهن او في

الكمادات ، او في الحمامات الباردة والساخنة ، او بالتدليك ، او بالفصد . وبالاختصار جميع التوصيات الصيدلانية التي كانت تعرف في القرون الوسطى .

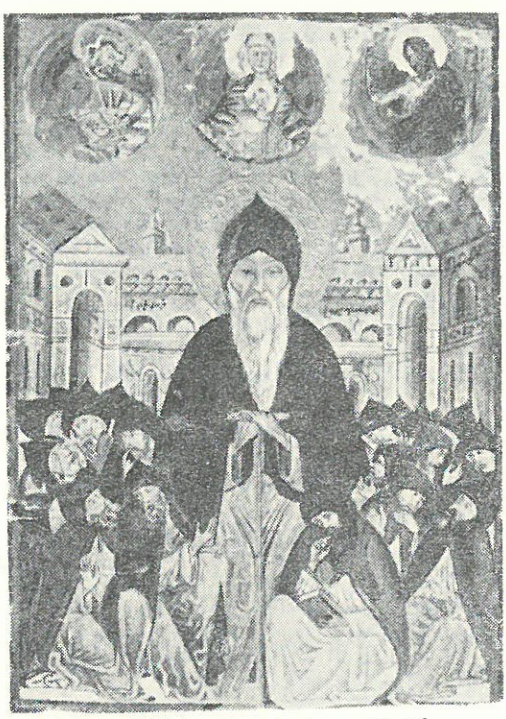
كان مخيتار يعمد الى وسائل الايحاء مباشرة ، كاشغال فكر المريض بالموسيقى والرقص .

اننا ندين لمخيتار بالاصطلاحات الطبية التي ما زال قسم كبير منها يستعمل في ايامنا هذه . لذا وبالنظر الى ما تقدم يمكن ان نعطي مخيتار عن جدارة مكان الشرف في تاريخ الطب الارمني . وحذا الاطباء حذوه من بعده ، وراحوا يوجدون ادباً طبياً مزدهراً . من هؤلاء : سيمون ، اهارون ، استيبانوس ، جخلين ، اكوب ديكين ، شيادون ، واهرام ودافيد وغيرهم .

كريكور داتيفاتسي

على اننا لا يمكننا ان نذكر هؤلاء دون ان نتحدث عن كريكور داتيفاتسي (١٣٤٠ - ١٤١١) المؤلف الديني الذي ولو لم يكن طبيباً الا انه كان على علم بالطب وبالعلوم الطبيعية. لقد كتب داتيفاتسي العديد من الدراسات التي جمعت تحت عنوان :

« كتاب المسائل لمثلث الرحمات ابينا القديس كريكور



١٥ - كريكور داتيفاتسي ، ١٣٤٠ - ١٤١١

داتيفاتسي » (الذي نشر في استانبول عام ١٧٢٩) . وفيه اجتمعت الدراسات عن : « حياة الانسان » ، « اناطوميا جسم الانسان » « حول النوم » ، « علم الهيئة » وغيرها. واتبع في هذه الدراسات الطريقة « التعليمية » . اما مستوى هذه الكتب العلمي ، فيتطلب من القارىء وجود فكرة معينة عن الطب لديه ، يعتقد انها تعادل مستوى كليات جامعة داتيف.

في تلك الايام كان « علم الهيئة » - اي دراسة الاعضاء الظاهرة والحركات في الانسان ، قد وصل الى درجة من الانحطاط بحيث كانت نظريات الميتافيزيك القديمة هدفاً لحملاته عليها . وها هو داتيفاتسي يصمد امام هذا التطرف ، جاعلاً دور الوراثة في المقدمة. وهو دور هام يجعل اكثر صفات المرء حتى الهيئة الخارجية منها معلقة به .

كان يفترض ان السمع والبصر هما من الطف الحواس. باعتبارهما مؤثرين في النفس. اما الحواس الاخرى فيعتبرها داتيفاتسي ثانوية . وان دورها لا يعدو ان يكون زيادة في الثقافة الفكرية . ويفسر داتيفاتسي الخواص النفسية واختلاف الصفات بامتزاج السوائل الرئيسية ، والوراثة ، والتربية ، وتأثير التعليم.

على عكس ايدياليزميته ، يرد داتيفاتسي المادة الى المادة ، جسم الوليد لا يرث روح امه ، اذ لا يمكن ان تنتقل الروح بدون جسد مادي. فالطفل يرث « القوة التركيبية » فقط التي تسمح له بالتعليم بقوته الاصلية .

لقد فتح كريكور داتيفاتسي بمؤلفاته الادبية والعلمية العديدة وغيرها وبعمله التعليمي خطوطاً عريضة في الثقافة الارمنية ، خصوصاً في حقل الطب.

القرنان الثاني عشر والثالث عشر

في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، كان يأتي الى ارمينيا اطباء غرباء باعداد كبيرة للعمل فيها ولدراسة الاعشاب المحلية لوضع كتب طبية عنها . كان منهم « ابو الفرج » الشهير الذي عكف على جمع معلومات عن الاطباء الارمن في ذلك الحين. « والبيطار » عالم الاعشاب ايضاً ومؤلف كتاب دراسة عن الصيدلية (فارماكوبيا) ، الذي ترجم الى اللغة الارمنية بمساعدة المؤلف . ولا بد لنا من ذكر « الطبيب البغدادي الاشيب » الذي ما عرف الا بهذا اللقب الذي يمكن ان نصادفه في الادب الطبي الارمني القديم ، وبقي بين الاطباء وحده مجهول الهوية ، وبقاؤه مجهولاً يعود الى شهرته العظيمة ، فهو لعظم شهرته آنئذ جعل المؤلفين بالعكس يكتفون بلقبه عن ذكر اسمه الحقيقي.

ومن الشيق ان نرى عدداً كبيراً من الاطباء العرب والسوريين وقد كتبوا مؤلفاتهم الطبية باللغة الارمنية.

ان معلوماتنا عن المؤسسات الطبية المنشأة في ذلك العهد سطحية جداً . فاشخان طوروس (١١٠٠ - ١١٢٩) خصص ملاجيء للمرضى وللغرباء. وكان عهد الملك ليون الثاني اكثر ازدهاراً . فلقد بنى هذا الملك (مستشفى

للبرص) بالقرب من هاجن حيث كان هـذا المرض منتشراً بكثرة . كذلك ادى خدمات للفقراء وبنى مستشفيات ومؤسسات عامة مختلفة.

وجاءت ابنته زابيل فأكملت اعمال ابيها الخيرية ، فافتتحت عام ١٢٤١ في سيس مستشفى عامراً بالحمامات ، وامرت بشق الاقنية . وكان المستشفى يحمل العبارة التالية « بني جليلاً بامر الملكة زابل عام ٦٩٠ ارمني (١٢٤١) ميلادي » . وكانت الملكة تزور المرضى بنفسها وتعتني بهم . ودام المستشفى حتى سقوط الملكية الكليكية عام



١٦ - حاكم كيليكي في درس المرضين ، ١١٤٩ .

١٣٧٥ ، واصبح بين الآثار بسبب هـزة ارضية عنيفة عام ١٦٤٢

واقتدى بليون الثاني حفيده ليون الثالث الذي اكمل اعمال جده الطبية وفي عهده ادخلت الى ارمينيا مؤسسة فئة المرضين عام ١١٤٩، على غرار مؤسسة فئة الممرضين التي انشئت في القدس عام ١١١٠، وكانت هذه المؤسسة تقدم عوناً كبيراً للعناية بالمرضى . كان اعضاؤها يؤدون اعمالهم فيها كأنهم « رهبان » اما في الخارج فهم « جنود ». كانوا يبنون للفقراء بيوتاً ومستشفيات في كل مكان . ومن الاوامر التي وقعها البلاط نعلم مدى الميزات التي كانت تتمتع بها هذه الفئة في ارمينيا.

لقد ترك التاريخ لنا كتابات كثيرة عن الينابيع المعدنية في ارمينيا نستخلص منها ان الشعب كان يستغل هذه الينابيع كمراكز للاستشفاء من جملتها اشتهر الينبوع الموجود تحت اساس كنيسة الروح القدس في تارالاكيادز وعلى قول استيبانوس اوربليان انه كان ذا شهرة عالمية في القرن الحادي عشر. كذلك اشتهر ينبوع داتيف الموجود بجانب جسر الشيطان ، كوريكوس الذي تحدث عنه سدرابيون ، ارزنجان الذي ذكره الرحالة الشهير ماركوبولو.

تذكر الكتب التاريخية ان اطباء ارمينيا كانوا ذوي

حالة اجتماعية محترمة يحسدون عليها ، الا أنهم لقاء ذلك يحملون مسؤولية كبيرة في ميدان مهنتهم . وكانت المحاكم تستفيد من الاطباء القانونيين ، وهم ملزمون على سبيل المثال ، باقرار ما إذا كانت نوبات الصرع التي تنتاب المريض حقيقية ام مفتعلة ، او في حالات العقم ، بيان الطرف المصاب بالعقم ، ليتمكن القاضي على ضوئها من الحكم بالطلاق . وقد يفرض الحاكم على هذا او على ذلك معاينة اجبارية . كما قد يؤدي الطبيب دور الجلاد ، اذا طلب اليه خصي متهم ما ، أو اذا طلب اليه حرمانه من اعضائه التناسلية كلها .

حين يدعى طبيب لعيادة مريض كان يتوجب عليه تلبية الطلب ، فاذا امتنع عن الحضور ، واستفحلت حال المريض ، اعتبر اهمال الطبيب هذا قتلا عن غير عمد .

ان ما يأتي من ضرر من جراء جهل الطبيب او من جراء دروس خاطئة يعلمها لتلامذه ، مهما بلغت نسبة الضرر يعتبر جريمة مصممة، فاذا لم يتمكن من تبرير خطئه تعرض للحكم عليه بالاعدام. نعتقد - يقول عضو المجمع العلمي هوانيسيان - ان القرون الوسطى ما عرفت دولة عاملت اطباءها بمثل هذه الانظمة الصارمة كأرمينيا.

في اواخر القرن الرابع عشر اضاعت ارمينيا استقلالها. وكان لسقوط الملكية الكيليكية وتشتت الامارات التي كانت قد حصلت على بعض الحرية في ارمينيا ، تأثير

سيء على الحياة الثقافية في البلاد . وبالرغم من ذلك كله ، وجد الفكر المنتج ملجأ له في الاديرة حيث تابعت المخلفات الثقافية والادب والعلوم رقيها، ولم يتوقف الطب عن كونه موضوعاً شيقاً اذ نستطيع ان نعدد الاعمال الطبية التي كتبت في تلك الفترة.

امير دولت

ففي القرن الخامس عشر وحين كانت ارمينيا غارقة في ظلمات الاضطراب السياسي آنئذ ظهر طبيب في آماسيا اسمه اميردولت كخلف وفي لكريكور ماكيسدروس ومختار هيراتسي ، مكملًا ما بدءاه من الامانة الطبية. كانت ولادته بين عامي ١٤٢٠ - ١٤٢٥ ، لم يصلنا من اخباره الا القليل، ولا نعلم عنه سوى انه كان صاحب اعلى ثقافة طبية في البلاد العربية وما بين النهرين. كان لنشاطه الطبي قيمة كبرى. وكان يطلب شيئاً كثيراً من الاطباء الذين عليهم برأيه ، ان يعملوا دائبين ليصلوا الى الاكتمال ، فيقرءوا ويتعمقوا في تفاصيل علم الامراض والمعالجات الدقيقة ، وان يدققوا ويجربوا لكي يزول الشك اثناء العمل الفعلي.

كان اميردولت يحلم بالطبيب الكامل ، الذي يحافظ على سر المهنة ، ولا يستسلم للشراب ، ولا يرفض مساعدة الفقير. ولقد كتب في مختصر احد كتبه المنشور تحت عنوان: « ما لا يلزم للجاهل » انه عمل خلال اربع سنوات في الليل



١٧ - الطبيب اميردولت ، ١٤٢٠ - ١٤٩٦ ، مؤلف للعديد من الدراسات الطبية .

وفي النهار وتعمق في الآداب الارمنية، واليونانية، والعربية، والتركية ، وحتى اللاتينية.

من الواضح ان اميردولت كان ينتمي الى المدرسة العربية ، فتأثيرها عليه ظاهر. وعلى حد قول سبتجيان ان مؤلفاته قد افادت اثنين من المؤلفين الفرس على الاقل.

يذكر اميردولت انه سافر كثيراً وطبب العديد من ابناء النبلاء والفقراء على حد سواء وجمع كثيراً من الكتب الطبية ، وعلى الاخص الارمنية منها . لقد عدد تسعة من المؤلفين الارمن الذين يذكر انه اطلع على اعمالهم على اكمل

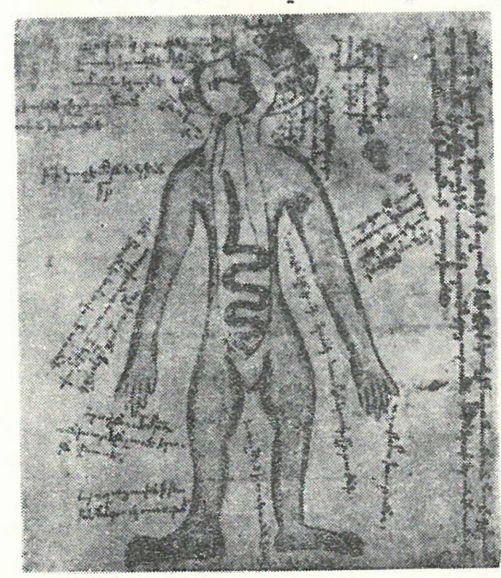
وجه، وبين انه جمع في اثناء اسفاره اعشاباً. قضى اميردولت آخر ايامه في استانبول عند السلطان محمد الثاني الذي عينه جراحاً رئيسياً في البلاط - جراح باشي رمضان - وتوفي في ٨ كانون الاول ١٤٩٦ .

لاميردولت تسعة آثار رئيسية ، يمكن ان نتوقف عند اثنين منها الآن - ١ - « ما لا يلزم للجاهل » وهو يتألف من ٦٢٤ صفحة مطبعية ، وهو مجموعة علمية عن العلاجات الطبية ، كتب عام ١٤٨٢ في استانبول. نشره باصماجيان في فيينا عام ١٩٢٦ مع مقدمة وشروح فريدة. يحتوي الكتاب على ٣٧٥٤ وصفة طبية مع العلم انه لا يوجد بين الكتب العلمية العالمية في القرون الوسطى كتاب ضم مثل هذا العدد الكبير من التراكيب. ينتقد اميردولت الواثق من تجاربه وعلمه هنا اكبر معلمي علم الادوية ، كالبيطار. ويتحدث عن المعالجة بالمياه المعدنية وبالاستعضاء او المعالجة بالعضو. ثم ان المعلومات التي اوردها عن التخدير الموضعي قيمة جداً لم يتوصل اليها العلم الحديث الا منذ امد قصير. ويورد اميردولت اسماء كثير من الاعشاب الطبية غير معروفة في الطب الحديث ولكنها قد تكون ذات اهمية ٢ - كتاب « اخرا بادين » المكتوب في استانبول عام ١٤٨١ الذي يبحث في فرماكولوجيا الطب مستعيناً بمقدمة ابن جزلة وميمون. يدعي اميردولت ان النص العربي غير كامل ، فبعد اعادة النظر في الكتاب وتحقيقه اضاف اليه قاموساً

باللغات الارمنية واليونانية والفرنسية والعربية والفارسية بحيث جعله مرجعاً للاطباء في شتى انحاء العالم.

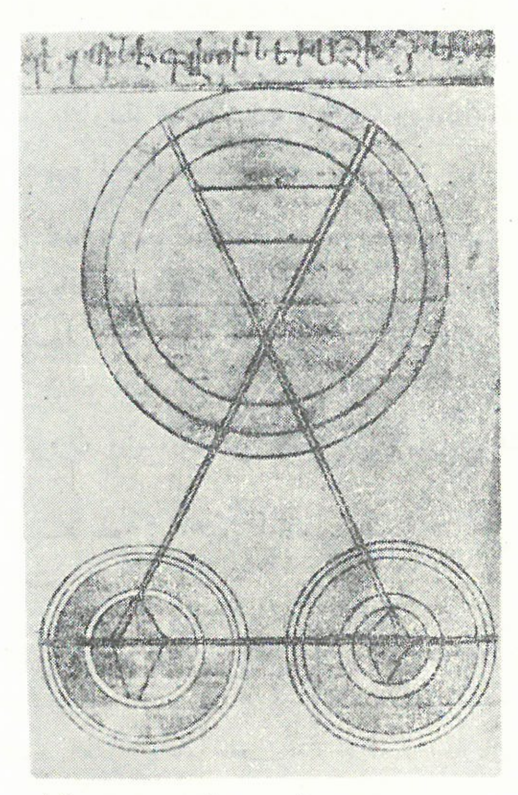
من المستحيل هنا تماماً اعطاء فكرة ولو قصيرة عن اعمال اميردولت الرئيسية.

كان اميردولت يكتب ملاحظاته على الفحوص التي تجري على حيوانات التجارب الصغيرة. كان يصنف الادوية الى ٦٤ نوعاً. جعل الاولية للاعشاب الطبية ، تليها المواد والمياه المعدنية ، ثم وسائل معالجة الاعضاء التي يأتي بينها خصيات الحيوانات في تقوية الاعضاء التناسلية وبين الادوية الحديثة ليست قليلة تلك التي كان يصنفها اميردولت.



١٨ ـ من الرسوم الاناطومية لاميردولت تظهر فيها الاعضاء والاوعية الهامة في جسم الانسان

لقد وصف لنا اميردولت ٩٩ نوعاً من ادوية الدود فيذكر « قشر الرمان » « بزر اليقطين » ، والاسم العربي « شيه ارمني » ، « النفط » وغيرها. كذلك اعطى كثيراً من اسماء ادوية تستعمل للعين وللامراض النسائية.



١٩ ـ صورة تفسيرية للمجموعة العصبية ، من كتاب « منفعة الطب » لاميردولت.

كان اميرودولت يستعمل نبتة « غارانس » كمدر للبول والتي يستخرج منها في نفس الوقت الصباغ الاحمر (Alizarine) ولقد حمل المدعو جان اتين (١٧١١ - ١٧٧٤) معه بذور هذا النبات الى فرنسا وزرعه في مدينة آفينيون ، ودرب المواطنين على العناية به. وبعد ان أثرى سكان مقاطعة فوكلوز من انتاج هذا النبات اقاموا لاتين تمثالاً تذكارياً في مدينتهم. يذكر جيراردن هذه البادرة في كتابه : « الدروس الاولية في الكيمياء » ، اما رستول ففي كتابه : « صور لوجوه الرجال النافعين ».

ان هذا الاثر الذي تركه اميرودولت وهذه المقتطفات منها تكفي لتمكننا من تصنيفه في الصف الاول من تاريخ الطب.

القرون من الخامس عشر الى السابع عشر

لقد لمع في القرن الخامس عشر اسم طبيبين هما : هوان وفاجي.

وفي نفس العصر كان يعيش المطران هوانيس الذي نقل عن مؤلف ارمني قديم ، الكتاب الذي استرعى انتباه عضو المجمع العلمي وعالم اللغات هراجيا اجاريان والطبيب ك. هاروتيونيان ، والذي يحمل عنوان : « اسرار النساء » الكتاب الذي يعلمنا عن علم التوليد والافكار التي كانت

سائدة في ذلك العهد ، وهو مبوب كما يلي : - ١ - الحمل ٢ - علم المني. ٣ - تأثير النجوم على الجنين. ٤ - المني متعدد الاجنة. ٥ - الولادة والروح. ٦ - الولادات المسيخية او غير الطبيعية. ٧ - علامات الحمل. ٨ - الجنس في المني. ٩ - غشاء البكارة ١٠ - وسائل منع الحبل وغير ذلك.

فان كان من العجيب ان يؤكد ان هذا الكتاب قد كتب بيد رجل كنسي، الا ان الاعجب ان توجد في هذا العصر « قابلات روحانيات » تعمل

لقد اضاف اختراع الطباعة فضلاً على العلوم الطبية. واول كتاب طبع بالارمنية كان عام ١٥١٢ اي بعد اختراع كوتنبرع بـ ٦٠ عاماً فقط. واول كتاب طبي طبع بعد ذلك كان في عام ١٥١٣ اي بعد عام واحد من بدء الطباعة الارمنية ، وكان المطبوع احد اعمال غالبين.

كان القرن السابع عشر فترة اليمة في حياة ارمينيا السياسية ، فلقد اصبحت ميداناً للحرب بين الفرس والاتراك وبذلك ضاع التراث الادبي والطبي. الا انه بالرغم من ذلك وُجد اطباء ثبتوا للمحنة بجهودهم الشخصية ، وحالوا دون ان تخبو تماماً شعلة المجد الذي خلفه للوطن مخيتار هيراتسي واميردولت.

ظهر في هذا القرن كأشهر شخصية طبية ارمنية، مؤلف كتاب « كتاب الطب » بونياد ، الذي جمع في سبيل استكمال

دراسة وافية في الطب مكتبة عامرة من مختلف اللغـــات. فمع ان بيته في صامسون قد احترق عام ١٦٢٥ بسبب الحرب بـين الترك والروس مع الاسف ، واحترقت معه مكتبته. نرى انه توصل بعد وقت قصير الى كتابة كتاب افقر مادة مركزاً زيادة على الامـراض الفـكرية والعصبية التي كانت تهمه كثيراً.

جيورجيو باكليفي

ويوجد كثيرون غيره ، ولكننا سنكتفي بذكر اسـم واحـد منهم فقط ، هو استاذ في رومـــا ومنظم للطب جورجيو باكليفي الذي لم يـعش طويـلا ، ١٦٦٨ – ١٧٠٧ كان ابن عائلة نزحت من جوغا واستقرت في رازوك، درس في ســـاليرن ، ثم في بادوفا وبولو كنا عند مالبيغي الشهير واستقر في جامعة ســابينزا في روما ، حيث عين فيها وهو في سن الثامنة والعشرين من قبل البابا إنوسانذ الثاني عشر استاذاً للاناطومي والجراحة. ولقد حقق له بيانه العذب وعلومه الغزيرة القاب : « منظم الطب » و « ابقراط الجديد ».

كان الاستاذ باكليفي مؤلفاً لعديد من الكتب ، التي اعيـدت طبـاعتها اكثر من مرة. فهو بمخالفته الاقدمين في « علم امراض السوائل » يوجد في الطب اتجاهاً جديداً يدعى : « إيادروميكانزم » يســـاير فيه آراء الفيلسوف الانـكليزي روجـر باكون العرفية ، ونظرياته الميكانيكية « الستاتيكية » معتمداً على البديهيات الاناطومية. وبرأي الاستاذ الارمني ، انـه في حال تنفيذ هـذه النظرية منطقياً ، سيزدهر الطب.



٢٠ - استاذ الاناطوميا والجراحة في جامعة سبينزا في روما جورجيو باكليفي ١٦٦٨-١٧٠٧. منظم شهير في الطب كان يلقب في ايامه بـ «ابقراط الجديد»

ولهذا كان كاز اللي يقول : ان معظم افكاره «تطير من فم الرجل» « Volitant per ora virum ».

والحق يقال ان آراء باكليفي كانت جد اصلية. كان شاباً على الموت ولكنه عظيم الشهرة.

كان القرن السابع عشر غنياً بالكتب التي كتبها مؤلفون ارمن عن الطب العملي آنئذ، كثيرون كانوا اصليين ، كما توجد ترجمات لاعمال الاجـانب من امثال العالم السوري الاورفلي « Édesse » العربي ابن جزلة.

القرن الثامن عشر

فاذا جاء القرن الثامن عشر ظهر تياران : اولهما بقي وفياً لطب القرون الوسطى الذي انطلق من اليونان ، وحمل التأثير العربي واعيد تنقيحه من قبل المؤلفين الارمن : كريكور ماكيسدروس ، مختار هيراتسي واميردولت ؛ وثانيهما تغذى بالطب الاوروبي. ومن اتباع التيار الاخير كان بالطبع الاطباء الارمن الذين تخرجوا من جامعات اوروبا.

فبدأت مدرسة القرون الوسطى تفقد زمام القياد، ولم يزد المؤلفون الجدد شيئاً على ما كان موجوداً وبدأت المدرسة العربية تعاني الانحطاط. والشرق الذي كان سبباً في ايقاظ اوروبا من سبات القرون الوسطى ، اصبح عاجزاً عن ايقاد شرارات جديدة في العلم ؛ كذلك اخذ الاطباء الارمن يراوحون مكانهم متمسكين بذيول المخلفات القديمة.

لذلك بدأ الاطباء الارمن المتخرجون من جامعات اوروبا يحلون بدءاً من النصف الثاني من نفس هذا القرن محل «الحكماء» في المدرسة الارمنية العربية. ومن اشهر الاطباء ذوي الميل الى الثقافة الاوروبية في القرن الثامن عشر الطبيب بيدروس كالاندريان ١٧٣٥ – ١٨٠٠ ، وهواكيم اوغوللوكيان ١٧٤٥ – ١٨٠٥ ، واستبانوس شيريمانيان ١٧٥٥ – ١٨٢٠، درستن وغيرهم. استقر كالاندريان في موسكو وهو

ينتمي الى المدرسة الطبية الروسية ، اما اوغوللوكيان فقد تخرج من فيينا ثم عمل في استانبول. وفيما يتعلق بشيريمانيان فانه بالطبع درس في ليفورنو.

للثلاثة مؤلفات ارمنية . فشيريمانيان كتب كتابين هامين هما : « وسائل مكافحة الطاعون » و « نباتات ارمينيا » وهذا الاخير مؤلف من الف صفحة مصورة موجه للاطباء الكاملين المجربين. ولقد ذكر الى جانب اسماء الاعشاب الارمنية اسماءها باللاتينية والعربية والفارسية والتركية. كما ذكر نيفاً وثمانمائة نوع من الاعشاب. لقد لفت كتاب شيريمانيان العظيم هذا انتباه اخصائيينا اليوم ، وصنفوه في صحف التاريخ مع مختيار واميردولت.

لم يكن الطب الشعبي في الفترة بين القرن الخامس عشر والثامن عشر ذا فعالية مرضية معقولة. في الوقت الذي كانت فيه الجاليات الارمنية في الخارج قد بدات تنشيء مؤسسات مختلفة. ففي مدينة لفوف في بولونيا عام ١٦٢٤ افتتح مستشفى ارمني وعمل في القرن السابع عشر . والذي تنقصنا التفاصيل الدقيقة عنه – وفي مدراس بالهند وفي منتصف القرن الثامن عشر ، بنت الجالية الارمنية مستشفى على نفقتها الخاصة. اما المستشفيات الموجودة في تركيا فلدينا عنها معلومات اوسع. ففي نهاية القرن الثامن عشر ، وفي ازمير، وجد الذين كانوا يعانون من مرض الطاعون عناية من قبل الارمن في مختلف المنشآت . ولقد استعيض عن

هذه المنشآت عام ١٨٠١ ببناء واحد عظيم، استعمل كمستشفى حتى عام ١٩٢٢. ولقد انشأت الجمعيات الخيرية في استانبول في القرن الثامن عشر مستشفى للطائفة الكاثوليكية ، ومستشفى وطنياً ارمنياً باسم سورب بركيج للطائفة الارثوذكسية الارمنية عام ١٧٥١، وما زال هذا المستشفى يصدر نشرة سنوية عن اعماله حتى اليوم.

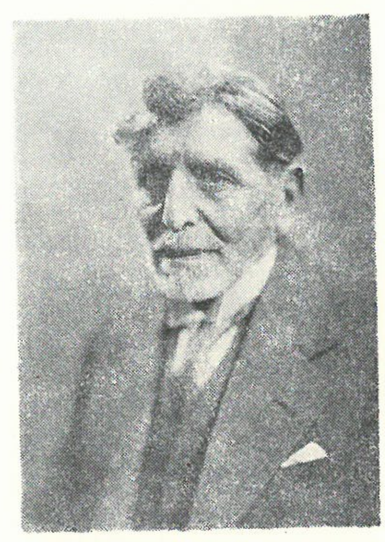
مع هذا الوقت الطويل المظلم لم تنقطع الينابيع المعدنية في ارمينيا عن العمل كمراكز للاستشفاء. وكانت تتمتع بشعبية كبيرة. نذكر منها : زيتون ، ديادين ، اليجا فوسكيبار ، نوافانك ، جاني ، داتيف ، دابونيك وغيرها. ويمكن تعداد اكثر من ٤٠ من مثل هذه المشافي واكثر من الف ينبوع ، غير قليل منها من له تاريخ اثري قديم.

وهكذا ، وفي احلك الايام ظلمة ، استمد الشعب الارمني قوة وحيوية من ينابيع وطنه القديمة.

يتميز تاريخ الطب الارمني في آخر طوره باعمال اطباء شهيرين ارمن من رسل الطب الاوروبي. فلقد ادخلوا في القرن التاسع عشر الطب العلمي الحديث الى الامبرطورية العثمانية المظلمة ، باسداء خدمات جلى لشعوب الشرق الاوسط.

محاضرتنا التالية ستخصص لاشهر شخصية طبية عرفت في الشرق الاوسط ، وقد تكون اشهر شخصية تحمل شعلة الطب الحديث ، قدمت خدمات لا تقدر الى سوريا وطننا

هذا الحبيب والى شعبه المضياف . هذه الشخصية هي شخصية الدكتور اسادور آرام التونيان.



٢١ - حامل شعلة الطب الحديث ، الطبيب الارمني الحلبي الشهير اسادور آرام التونيان.



Adresse	العنوان :
...ion Générale Arménienne	الجمعية الخيرية العمومية الارمنية
... Bienfaisance B. P. 348	ص. ب ٣٤٨
ALEP, SYRIE	حلب - سوريا
...x : 100 P. S.	السعر : ١٠٠ ق. س
... Liban : 100 P. L.	لبنان : ١٠٠ ق. ل